مقياس منهجية البحث الأدبي: السنة الثالثة أدب عربي

د/ سعاد حميدة

الأفواج(1+2+3)

المحاضرة2: البحث الأدبي

1_ طبيعة البحث الأدبي:

إن ميدان الأدب هو الانفعالات والخيال والأحاسيس وخلجات النفس ومكنوناتها وعواطفها المختلفة مثل عاطفة الحقد والحب وما إلى ذلك (والأدب ليس وعاء من أوعية الزمن والعقل، وإنما هو وعاء للمشاعر والعواطف الإنسانية)، ومادام ميدان الشعر النفس وما تفرغ منها من غصون، فالأديب إنسان معرض لتقلباتها، فإذا اسودّت في عينه الحياة قال ما يصوّرها ليجعل القارئ يشاركه الحزن والعكس صحيح.

وإذا كانت نفس الأديب معجبة بمظهر من مظاهر عظمة الخالق في خلقه، فلا شكّ أن ما يصدر عن الأديب يكون عاكسا لهذا الإعجاب.

2_ مادة البحث الأدبي:

إن المادة المشكلة للبحث الأدبي هي مادة الشعر والنثر ، ثم ما امتد من فروعهما المختلفة، أو بعبارة أخرى كل المضامين التي توجه لها الأدب بغية تجسيدها وإظهارها للناس في كافة اطوارهم بشرط أن تكون هذه المادة لها علاقة متينة بالنفس الإنسانية.

وإن كانت مادته الادب بجناحيه الشعر والنثر وما دار حولهما من المواضيع والألوان والأشكال، ولكن قد يرتبط الأدب بحقول معرفية أخرى تتداخل معه، وتتساوق كالفلسفة والتاريخ وعلم الجمال وغيرها.

3_ أهمية البحث الأدبي:

إن البحث عموما هو محاولة جادة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفحصها وتحقيقها بتقصّ ونقد عميق، ثم عرضها عرضا وافيا يخدم العلم الإنسان أينما كان، والمجتمعات المتطورة ترصد كل إمكانياتها خدمة للبحث العلمي لأنه أساس تقدمها.

إن البحوث الأدبية على الخصوص تكتسي أهميتها البالغة، من حيث أنها تعنى بالدراسات الأدبية كحقل شامل متشعّب ومتداخل مع علوم أخرى في فضاء العلوم الإنسانية بشموليتها، لأن الأدب بمضامينه المتعددة هو ديوان المجتمع، ولافتته الكبرى في تشكيل الهوية والمنجز الثقافي والحضاري لأفراده.

ومن المهم جدا أن يدرك طالب الدراسات الأدبية أهمية منهج البحث الأدبي، ليتسنى لهم شق طريقهم مع البحث بشكل منظم ومرتّب وبأدوات وطرق علمية أمينة.

واتباع منهج في البحث الأدبي له أهميته ذلك أهمية لفوائد كلمة منهج، ذلك أنه يعتبر مفتاح وخارطة طريق يسلكها الباحث نحو الوصول إلى الغاية العلمية إو إدراك الحقيقة المعرفية فمن فوائده:

_ تعليم الباحث كيف يبدأ وكيف ينتهي.

_ توفير الوقت والجهد.

_ تجنب الوقوع في أخطاء السابقين.

_ تعويد الباحث على النظام والترتيب وحسن الاختيار والأخذ بالأفضل والأجود.

_ توفير المتعة المعرفية والجمع بين المنطقية والحسية.

_ تحقيق الاعتزاز بالقدرة على الإنجاز والاستمتاع بتحقيق الأهداف.

_ يساعد على التعامل الجيد مع المصادر والمراجع والاستفادة من المعلومة وحسن توظيفها في النطاق المخوّل لها.

4_ **أسس البحث الأدبي:** يقوم البحث الأدبي على أسس وجب الوقوف عندها وهي كالتالي:

أ_ مادة البحث الأدبي:

سبق وقلنا أن مادته هي الشعر والنثر، وقد يرتبط بحقول معرفية عديدة.

ب_ اختيار البحث الأدبي:

ليس اختيار البحث الأدبي شيئا سهلا ميسرا، بل الأمر دونه التعب والمشقة، فلابد« للباحث من ثقافة واسعة، كي يهتدي إلى بحث أدبي طريف ولذلك كان ناشئة الباحثين يجدون صعوبة في اختيار موضوعات بحوثهم... وأول خطوة في هذا الأمر هي أن لا يلقوا بزمامهم في بحوثهم إلى غيرهم، وأن يعملوا على الاهتداء إليها من خلال قراءتهم وعكوفهم على كتب الباحثين من قبلهم»،

ثاني خطوة له أن يعمد إلى التخلص من الخضوع والانقياد الأعمى لأفكار وآراء السابقين لهن متطلعا إلى عالم حر يجد فيه شخصيته وكيانه، فهو إذ يقرأ لهم ويدوّن ليس معناه أنه ينقل بضاعة من هنا إلى هناك كما العامل الأجير، إنما هو يدون أفكارهم ليناقشها ويخضعها للميزان_ الذي تعلمه وتدرب عليه_ ويضيف عليها« ولكي تكون خطوات البحث الأدبي سديدة ينبغي أن يحدد لنفسه العصر الذي يعمل فيه والمكان والشخوص والجوانب المختلفة المتصلة بالبحث».

على الباحث أن يكون ملما بعلوم اللغة العربية وآدابها، ويضاف إلى ذلك ثقافته واطّلاعه الواسع بالفكر الفلسفي وغير ذلك من التشبع بالثقافات.

ج_ تنسيق مواد البحث الأدبي:

والمقصود هنا منهجية البحث وخطة البحث المرتبطة بعناصر واضحة ومتسلسلة، فالكثير ينزلق مع فكرة أن الأمر سهل وبسيط يحتاج فقط جمع المادة وتوزيعها على فصول البحث وهو_ صحيح نظريا_ ولكن مع التطبيق ستظهر الصعوبات.

إن أخطر ما يعرض بحثا أدبيا للانهيار أن يجمع صاحبه كل ما يتعلق بعنوانه من مادة علمية، بدون عناية باختيار او تصنيف ، وكثير من البحوث يؤدى بها ذلك إلى أن تصبح طوائف من المعارف...كثيرا ما يسوده التشويش وتشيع فيه الفوضى».

إن خطة البحث هي وجه البحث ومقام الباحث الأدبي، حيث تشكل صورته لدى مجتمع البحث والمعرفة من حولهن لذلك هي تحتاج العناية القصوى، والاهتمام الشديد في التنظيم والترتيب والتصفيف.

د_ الاستقراء والاستنباط:

تقوم مجمل البحوث الأدبية على دعامتين أساسيتين حيث« يتم استقراء الحقائق الجزئية واستنباط الحقائق الكلية والقضايا العامة، ولا يراد بالاستقراء جمع الحقائق المفيدة، فدائما لابد من الانتخاب والاختيار والانتقاء، ولابد أيضا من الاستقصاء الدقيق والإحاطة التامة بكل الحقائق المتصلة بالبحث الأدبي

ونصوصه الجزئية، حتى يمكن الوصول إلى الحقائق والصفات الكلية، ولذلك كان ينبغي على الباحث في الأدب ان يبدأ بجمع الأمثلة والنصوص ويصنفها حسب الموضوعات التي يتناولها في بحثه المعين».

إن الاستقراء حقيقة هو بوصلة البحث الادبي وعماده وقوامه السليم، ويشترط فيه أن يكون شاملا غير منقوص لتكون النتائج والاحكام سليمة صحيحة.

هـ_ دقة التفسير:

هو بند أساسي ومهم في البحث الأدبي« ولعل دقة التفسير أهم صفة ينبغي أن تتوفر في البحث الأدبي وهي صفة في حقيقة الأمر ترجع غلى ملكة الباحث، ومدى قدرته على تبيّن العلل للظواهر الأدبية»، حيث التفسير يأخذ بعين الاعتبار الوقوف على الزمان والمكان والبيئة وتشعبات العلاقات الاجتماعية وارتباطات التاريخ وتفاصيل الحياة الاجتماعية، والتعاطي مع الحياة بكلياتها، ومن هنا كان لزاما « أن يسند البحث الأدبي بتفسير يعمّهن وبتفسيرات تتداخل في بنائه العام، بحيث لا يجري الكلام على عواهنهن وإنما توضع له العلل والأسباب التي تجعل منه عملا مترابطا محكما، شدّت أجزاؤه بعضها إلى بعض شدّا وثيقا».

و_ التذوق والتحليل:

إن التذوق ملكة تنشأ بفعل الانغماس في القراءة وكثرة الاطلاع وتصفح الكتب والمصنفات شعرا ونثرا وتتبع الآثار من أمّهات التآليف في القديم والحديث، « بحيث تصبح استجابة صاحبها لما يقرأ استجابة صادقة، وهي أو ل خطوة في البحث الأدبي، فلابد ان يحس الباحث بالعمل الأدبي، ويشعر أنه أثر فيه بروعته... وينبغي أن نجرّده من كل عنصر يفسده حتى يكون تذوقا سديدا، وحتى تكون استجابتنا للعمل الأدبي استجابة صحيحة».

ز_ العرض والأداء:

وهي تلك الصورة التي يظهر بها البحث من حيث تناسقه وارتباط حلقاته وعناصره، فتكون المقدمات سببا في النتائج ،واطراد الكلام محقق للغايات، واكثر سمة ترتبط بهذا العنصر هي الوضوح، فلابد أن تكون البداية والوسط والنهاية تتسم بالوضوح وروعة البناء، فاختيار عناوين البحث الرئيسية والثانوية لا يجب أن تكون اعتباطا أو عفوية، وإنما التركيز عليها والتدقيق في إنشائها « فأساس العرض لأي بحث أدبي إنما هو التمثّل الذي يحيله عملا متكاملا، إذ الباحث لا يعرض معلومات، وإنما يعرض بناء متناسقا يسود بين أجزائه وفقراته المنطق والروابط الذهنية، فلا نشاز هنا أو هناكن ولا تكرار من شأنه أن يضعف البحث...وبجانب العرض الدقيق وأوضاعه ينبغي أن يكون الأداء سديدا ، بحيث تتوفر للباحث معرفة دقيقة بالألفاظ التي يستخدمها».